Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأميرُ وَالأَرْمَلَةُ

بَنَى أَحَدُ أُمَرَاءِ مُرَّاكِشَ قَصْراً فَخْماً فِي إِحْدَى الْمُدُنِ الأَنْدَلُسِيَّةِ الَّتِي فَتَحَهَا، وَبَعْدَ أَنْ أَقَامَ فِيهِ زَمَناً اتَّجَهَتْ رَغْبَتُهُ إِلَى تَوْسِيعِهِ. وَكَانَ هَذَا يَقْتَضِي تَمَلُّكَ حَقْلٍ مُجَاوِرٍ لِلْقَصْرِ، تَوَارَثَهُ مُنْذُ الْقِدَمِ أَفْرَادُ أُسْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَكَانُوا يَعُدُّونَهُ تُرَاثاً مَجِيداً، لاَ يَبْغُونَ بِهِ بَدَلاً بَالِغاً مَا بَلَغَ. وَكَانَ هَذَا الْحَقْلُ وَقْتَئِذٍ فِي يَدَيْ أَرْمَلَةٍ مِنْ هَذِهِ الأُسْرَةِ. فَلَمَّا طُلِبَ مِنْهَا أَنْ تَنْزِلَ عَنْهُ رَفَضَتْ بِكُلِّ إِبَاءٍ. لَكِنَّ الأَمِيرَ فِي سَبِيلِ تَنْفِيذِ مَشِيئَتِهِ لَمْ يَأْبَهْ لِهَذَا الرَّفْضِ، فَأَخَذَ الأَرْضَ غَصْباً، وَشَيَّدَ عَلَيْهَا جَنَاحاً كَبِيراً لِقَصْرِهِ.

فَرَفَعَتِ الأَرْمَلَةُ الْعَدِيمَةُ النَّصِيرِ أَمْرَهَا إِلَى الْقَاضِي. لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْتَصِفَ لَهَا فِي الْحَالِ إِذْ تَهَيَّبَ حَوْلَ الأَمِيرِ.

عَلَى أَنَّهُ اعْتَزَمَ أَنْ يَتَحَيَّنَ الْفُرْصَةَ لِتَوْجِيهِ نَظَرِ الأَمِيرِ إِلَى مَا حَمَلَ مِنْ ظُلْمٍ. فَصَادَفَهُ يَوْماً يَمْشِي فِي الْحَدِيقَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا حَوْلَ الْجَنَاحِ الْجَدِيدِ، فَهَرْوَلَ إِلَيْهِ، وَجَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ، مُتَوَسِّلاً أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِمِلْءِ عِدْلٍ يَأْخُذُهُ مَعَهُ مِنْ تُرَابِ الْحَدِيقَةِ. فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ، مَلأَ الْعِدْلَ، وَحَاوَلَ أَنْ يَحْمِلَهُ فَعَجَزَ، فَالْتَمَسَ مِنْهُ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى حَمْلِهِ.

عِنْدَئِذٍ خَطَرَ لِلأَمِيرِ أَنَّ الْقَاضِي يُمَازِحُهُ، فَضَحِكَ وَمَالَ عَلَى الْعِدْلِ لِيَرْفَعَهُ، وَلَكِنَّهُ أَلْفَاهُ ثَقِيلاً، فَأَلْقَاهُ عَلَى الأَرْضِ.

فَالْتَفَتَ الْقَاضِي إِلَى الأَمِيرِ وَقَالَ لَهُ: ــ أَرَأَيْتَ يَا مَوْلاَيَ كَيْفَ أَنَّكَ لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ، مَعَ أَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ لَيْسَ إِلاَّ جُزَيْءًا يَسِيراً جِدًّا مِنْ أَرْضِ هَذِهِ الأَرْمَلَةِ ؟! فَتَصَوَّرْ يَا مَوْلاَيَ حَالَتَكَ إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ فِي يَوْمِ الدِّينِ الَّذِي يَتَسَاوَى فِيهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، يَوْمَ يُسْأَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنِ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ، وَيُحْصَى عَلَيْهِ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ مِنْ خَيْرٍ يُثَابُ عَلَيْهِ أَوْ شَرٍّ يُجْزَى بِهِ.

فَإِذَا كُنْتَ الآنَ عَاجِزاً عَنْ حَمْلِ جُزْءٍ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ، فَكَيْفَ تَكُونُ حَالُكَ إِذَا طُولِبْتَ يَوْمَ الْحِسَابِ بِحَمْلِ أَوْزَارِهَا جَمِيعاً؟!

فَاتَّعَظَ الأَمِيرُ بِنَصِيحَةِ الْقَاضِي، وَأَعَادَ الْحَقْلَ لِلأَرْمَلَةِ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَبَانِي الْجَدِيدَةِ لِكَيْ يُكَفِّرَ عَنْ خَطِيئَتِهِ.